السنة الثانية ليسانس

الدرس السادس، مقياس، تاريخ وحضارة المغرب والأندلس

دولة الأغالبة: (184هـ/296هـ)

كان قيام دولة الأغالبة في إفريقية تجربة جديدة في نظم الحكم الإسلامية، ولأول مرة تتعهد الخلافة إلى رجل من أهل المغرب (من عرب مصر الداخلين) في الانفراد بحكم ولاية من ولاياتها ولو كان شبه مستقلا بحكمه.

تنسب هذه الدولة إلى مؤسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي، حيث كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور قد ولى أباه على إفريقية سنة 148هـ بغرض القضاء على المنازعات بين العرب والخوارج والبربر من ناحية، وبين المضرية واليمنية من ناحية أخرى بعد مقتل إبراهيم بن الأغلب في الصراع الدائر بين رجال الدولة العباسية والخوارج، كان ابنه ابراهيم مقيما في إقليم الزاب مع قومه من تميم فتولى هو امر الولاية بعد مقتل أبيه، تميز بالفطنة والذكاء وحسن التدبير، واتفق طموحه مع أهداف وطموحات الدولة العباسية التي كانت تسعى إلى وضع هذا الإقليم في أيد آمنة، وبذلك تنقص من نفقات الجيش، وبالتالي توج ذلك بالاتفاق بين الخليفة هارون الرشيد وإبراهيم بن الأغلب(جاء تعيينه واليا على افريقية بعد أن قرر هرثمة بن أعين العودة إلى بغداد فاقترح على الخليفة أن يقيم إبراهيم بن الأغلب على افريقية–

مع حكم الاغالبة بدأت تجربة سياسية جديدة في تاريخ افريقية وهي حكم افريقية بواسطة أسرة عربية محلية تابعة للدولة العباسية.

أقام إبراهيم بن الأغلب جيشا قويا ورأى ضرورة الاعتماد على جند خاص حيث يمكن الاعتماد عليها ولا يتمرد عليه، ولتعويض العدد القليل من التميميين، كما أنه لم يكن يحب الخراسانيين أو يعتمد عليهم، وكذلك فإن خصومه كانوا يعتمدون على قوى قبلية كبيرة وأراد ان يوازن بين القوى. كما كان لديه خصوم عديدون من العرب البلديين

أبرزهم الذين لم يوافقوا على الإقرار برئاسته، وأعلنوا عليه الحرب، ومن أبرزهم حمديس الكندي.

وبالتالي كانت العناصر التي تكونت منها القوة العسكرية التي شكلها إبراهيم:

-البربر المستعربة: كانوا جندا مرتزقة عند الأغالبة.

-الصقالبة: كانوا يشترون من اروبا صغارا ويربون تربية عربية إسلامية.

-السود: قوة من السود أضيفت إلى هذه القوة وشكلت حرصا خاصا لدى إبراهيم.

اتخذ إبراهيم بن الأغلب قاعدة حصينة لتكون عاصمة دولته بمثابة حاضرة سياسية وعسكرية، حيث راعى في اختيارها الاستراتيجية والحصانة الطبيعية ووقع اختياره على موقع جنوب القيروان وأسس بذلك العباسية سنة 184هـ (عرفت باسم القصر القديم) وقد أصبحت قاعدة للحكم في البلاد، ثم نقل إليها أهله وأمواله وحرسه.

العوامل التي دفعت الخلافة على قبول هذه الاتفاقات الرضى فقط بقسم من بلاد المغرب مع استقلال المغربين الأوسط والأقصى(مناقشة)

في عهد قامت ثورة أهل طرابلس سنة189هـ حيث كانت تابعة لأفريقية لكن في حدها الشرقي، وقد تبرم أهلها (قبيلة هراوة-خوارج اباضية) من واليهم، ولم تستقر الأوضاع وكثر تعيين ولاتها، وانتهت بعد عديد الثورات بالتقسيم (انضمام إلى الرستميين، وإبقاء الساحل تابعا للأغالبة).

-دام حكم الاغالبة ما يزيد على المائة سنة وتعاقب على إمارتهم أحد عشر أميرا، بعضهم كانت مدة حكمه لا تتجاوز السنة الواحدة. لم تنته هذه الدولة بوفاة إبراهيم سنة196هـ بل تعدى إلى أبرز الأمراء الثلاثة وأكثرهم إنجازا وحكما والذين صادفوا الكثير من العراقيل.

بعد أن حكم أولا أبو العباس عبد الله بن إبراهيم لخمس سنوات كان فيها منبوذا حتى من أقاربه واستحقر أخاه الصغير زيادة الله تولى هذا الأخير الحكم سنة201هـ والذي استمر حكمه مدة 22 سنة.

واجه فيها عددا من المشاكل أبرزها مشكلة الجند (النفقات، البربر، الخمول...) إلا أنه استطاع أن يولي شطره نحو الفتح وكان نفسه تواقا للجهاد.

فتح صقيلية:

كانت صقلية قبل فتحها رسميا تابعة للدولة البيزنطية ويحكمها بطريق يسميه العرب(بلاطه) وكان قاسيا على أهل الجزيرة مرهقا لهم بالمطالبات المالية وكانوا يتذمرون منه ومن حكمه باستمرار.

ولعل السبب الذي جعل زيادة الله يرسل حملة إلى صقلية هو (استنجاد القائد الرومي يوفيميوس الذي ثار على حكم البزنطيين واستقل بشرق الجزيرة) وتحصن في سرقوسة ثم أرسل إلى زيادة الله مستنجدا فأجابه، ومما شجع زيادة الله على إرسال الحملة وفتح صقلية (كثرة عدد جيشه).

كان من أشهر القادة الذين أرسلهم زيادة الله على رأس الحملة المتوجهة إلى صقلية الفقيه والقاضي أسد بن الفرات، حيث كانت نهايته بها خلال الوباء الذي اجتاح الجزيرة، والذي قضى على اعداد كبيرة من حملة المسلمين وهو ما أدى إلى تفكك واضطراب أمر القوات الفاتحة.

ساءت أحوال المسلمين في صقلية بسبب تناقص أعدادهم ومحاصرة البزنطيين لهم فطلبوا المساعدة من زيادة الله، لكنه تأخر، فتدخل قائد أندلسي وهو فرغوش(أصبغ بن وكيل) الذي تمكن من فك الحصار عن المسلمين. ثم كان الوباء الثاني ففتك بعدد كبير من المسلمين ومنهم فرغوش مما جعل مركز المسلمين حرجا مرة أخرى إلى أن وصل القائد أبو فهر الاغلبي إلى الجزيرة ودخل العاصمة باليرمو وطرد القوة البيزنطية من الجزيرة.

استمرت صقلية تابعة لدولة المسلمين، ثم تكونت فيها إمارة إسلامية كانت تابعة للفاطميين، حتى سقطت بيد النورمان سنة485هـ بقيادة روجر الثالث.

كما تطورت في عهد الأغالبة مدينة بلرم وحملت لواء الثقافة واستقطبت العلماء وحملة العلم، وظهرت فيها نهضة علمية.

تولى إمارة افريقية عددا من أمراء الأغالبة الذين تباينت فترة حكمهم من حيث المدة ما بين بضع سنوات أو أكثر، إضافة إلى الإسهامات والحوادث التي جرت في عهدهم إلا أننا يمكن الحكم أولا على أهم إنجازاتهم والاقتصار على أهم أمرائهم المتأخرين وهو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب الذي تولى الحكم سنة261هـ وهي من أطول فترات الحكم الأغلبي وقد اغتصب الحكم من ابن أخيه وشرع في بناء مدينة رقادة سنة 263هـ جنوبي القيروان، وسير جيوشه لإكمال فتح صقلية و توفي سنة 290هـ وخلفه اخر الامراء زيادة الثالث الذي وصل في عهده الشيعة الفاطميين الى بلاد المغرب.

دام حكم الاغالبة ما يقرب من 144 سنة وازدهرت المدن في عهدهم مثل القيروان وتونس وسوسة وصفاقس وغيرها، وتمكنوا من توحيد افريقية تحت لواء السنة، ويرجع لهم الفضل في تمدين افريقية والمغرب الأوسط وتحويلها من قرى متناثرة ومحطات قوافل الى مدن مزدهرة.

جدد الاغالبة مسجدي القيروان وتونس وهما مسجد عقبة ومسجد الزيتونة الذي كان قد بدا في تشييده عبيد الله بن الحبحاب 114هـ، الا أنه لم يكتمل الا على يد إبراهيم بن أحمد سادس أمراء الاغالبة.

أنشا زيادة الله قصر الرباط رباط سوسة، وأنشأ العباس محمد بن الأغلب خامس الاغالبة جامع سوسة، كما أقام الاغالبة العديد من الاسوار والأبراج للمدن، وازدهر العديد من الرباطات.

كما اهتموا بالري حيث بنى الأغالبة الكثير من صهاريج المياه والجباب، وأكثروا من بناء المواجل (احواض مياه واسعة وعميقة يتجمع فيها ماء المطر).

تشبه أمراء الاغالبة في شعاراتهم وعماراتهم ببني العباس ــ حتى أنهم سموها بنفس الأسماء: العباسية وأبرز هذه القصور، قصر بغداد وقصر المختار وقصر العروس من الناحية العلمية فقد ظهر في عهد الاغالبة عدد من العلماء والفقهاء أبرزهم أسد بن الفرات وعيسى بن مسكين وسحنون.

د. رسمي عبد القادر